بسم الله الرحمن الرحيم

شبكةُ شموخِ الإسلامِ

منتدى المجَاهِدَاتِ الشَّامِخَاتِ يُقَدِّم:

تفريغ مجموعة خطب للشيخ أبي الحسن العراقي "مصطفى الناصري" تقبله الله

(٧) "حفظ الدِّين أوجب الواجبات"

[ج٢]



بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

بسم الله.

الحمد لله معزِّ الحق ورافعه، ومذلِّ الباطل وواضعه.

حمدًا لمن أسماؤه مُكمَّلة ... اللهُ لا إلَهَ إلَّا هُوَ لَه

حمدًا كثيرًا دائِمَ البَقاءِ ... مُكافِئًا تَرادُفَ الآلَاءِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَتْرَا ... عَلَى أَجَلِّ العَالَمِينَ قَدْرًا

وَآلِهِ أفنَانِ دَوحَةِ الشَّرَفِ ... وَصَحبِهِ وَتَابِعٍ نِعْمَ السَّلَفِ

مَا لَمَعَ البَرْقُ عَلَى أُمِّ القُرَى ... أو هَتَفَتْ قُمْرِيَّةٌ عَلَى الذُّرَى

عباد الله؛

أوصيكم وأوصي نفسي أولًا بتقوى الله العظيم وطاعته، ولزوم أوامره وكثرة مخافته، وأحذركم وبال عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [سورة الأحزاب].

أما بعد؛

اعلموا معشر الإخوة أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واعلموا أن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من حرّها وشرِّها.

اِمتدادًا للجمعة الماضية التي ذُكِر فيها أن حفظ الدين هو أوجب الواجبات، وأن حفظ الدين هو أغلى الأمنيات، وأن حفظ الدين هو أسمى الغايات، وأن هذه وإن كانت منهجًا أصوليًا أجمع عليه علماء المسلمين، فقعّدوا القواعد على أن مقاصد الشريعة خمس: أولها حفظ الدين، ثم حفظ النفس، ثم حفظ المال، ثم حفظ العقل، ثم حفظ النسب.

الشاهد: أن أوجب واجبات الإسلام، وأولى أولويات المسلم هي أن يحفظ دينه، وأن هذا منهج عاش عليه الأنبياء كما ذُكر من حوار موسى مع فرعون، وكما ذُكر حوار يعقوب مع أبنائه في آخر لحظات من حياته، وكما ذُكر من حوار المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي سفيان، وكما ذُكر حال الصحابي الجليل سعد بن الربيع في آخر لحظات حياته، كل ذلك يبين أن المنهج الحق الذي يريده الله عز وجل من عباده المسلمين هو أن يرتبوا أولوياتهم، وأن يجعلوا حفظ دينهم أولى الأولويات، وأن يجعلوا حفظ دينهم أوجب الواجبات.

وعندها قال قائل في قوم: علامَ الحديث عن هذه المفاهيم؟ علامَ الحديث عن أساسيات الإسلام التي بات كل مسلم يعلمها، فإذا سألت أي طفل من المسلمين: أتحب ربك أم تحب نفسك؟ أيهما أكثر؟ سيقول: أحب الله.

وإذا قلت لأي من المسلمين: أيهما أوجب عندك أن تحفظ دينك أو أن تحفظ نفسك ومالك؟ فيقول: بل أحفظ ديني.

فقالوا: فإن كان الحال كذلك فعلامَ الحديث والترداد على هذه المفاهيم؟

عندها صار لزامًا أن نبين الفرق بين الحقيقة والادّعاء، فليس الشأن أن تعلم إنما الشأن أن تعلم ثم تعمل، فلقد عرَّف المسلمون الإيمان، الإيمان الذي ندَّعيه، عرَّفه أهل السنة والجماعة؛ أن الإيمان هو إقرار في جَنان، وأنه قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

الإيمان: ما وقر في القلب وصدقه العمل.

فهم ذلك المشركون ولم يفهمه كثير من المسلمين، كيف ذاك!؟

يقول العلماء: لو علِم مشركو قريش أن (لا إله إلا الله) التي دعاهم إليها نبينا صلى الله عليه وسلم تفرض عليهم أن يردِّدوها بألسنتهم فقط لقالوها من أول يوم، ولكنهم علموا أن (لا إله إلا الله) تقتضي الإيمان والقول والعمل بها، وأن (لا إله إلا الله) تقتضي من المسلم أن يمتثل لأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن (لا إله إلا الله) تقتضي على أهلها أن يدعوا الناس إليها، وأن يصبروا على الأذى فيها، وأن يدافعوا عنها بأموالهم وأنفسهم.

فلما علموا ذلك لم يقولوا: (لا إله إلا الله)، فهذا أبو سفيان لما انكسرت شوكة المشركين، وبات المسلمون على مرمى حجر من مكة، وأدرك أبو سفيان أن الدائرة دائرةٌ للمسلمين لا محالة، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلو كان في آلهتي خير لما تركتني.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: وتشهد أن محمدًا رسول الله؟

قال: أما هذه ففي النفس منها حاجة.

لم يقلها وهو يعلم أن في نفسه منها حاجة، لم يردِّدها بلسانه، أبت نفسه أن يعمل ذلك، أن يقول محمد رسول الله بلسانه ولم يؤمن بها قلبه.

وبعد أيام عديدة بعد أن دخل المسلمون إلى مكة، كان أبو سفيان جالس في أحد أروقة مكة يفكر بينه وبين نفسه أيٌ من القبائل يستعين بها على المسلمين ليخرجهم من مكة، وعند ذلك أوحى الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما يحدِّث أبو سفيان نفسه، فاقترب منه عليه الصلاة والسلام ووضع كفه الشريف على كتفه وقال له: إذن يخزيك الله.

فعندها قال أبو سفيان: الآن أشهد أنك رسول الله، "أشهد أنك رسول الله" لم يقلها حتى أيقن بها قلبه، حقيقة معنى أدركه المشركون ولم يدركه كثيرٌ من المسلمين.

يحدثنا المحدِّثون عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، حين همَّ خالد الهذلي بأن يجمع جيشًا في مكان ما من جزيرة العرب، يهيأ ذلك الجيش في أن يقتحم به المدينة على المسلمين، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع الصحابة رضوان الله عليهم وقال لهم: يؤذيني خالد الهذلي.

فقام عبد الله بن أُنيس قال: يا رسول الله؛ روحي لروحك فداء، مرني بما تشاء.

قال: اِئتني برأسه!

قال: أنا له يا رسول الله.

وبعد ثلاثة أيام جاءت زوجة عبد الله بن أُنيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: يا رسول الله إن ابن أُنيس لم يطعم طعامًا منذ ثلاثة أيام.

فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن سبب امتناعه عن الطعام، فقال: يا رسول الله؛ لقد عاهدتك عهدًا أخشى أن لا أفي به.

يخاف أنه عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يكفيه شر خالد الهذلي، ولكنه فكر في نفسه وخاف أن لا يؤدي هذه المهمة على أتم وجه.

فطمأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: عليك جهدك.

أي ابذل ما تستطيع من الجهد ولن يسألك الله عن النتائج.

فذهب عبد الله إلى معسكر خالد الهذلي، فلما دنا منه قال له خالد: ما الذي أتى بك؟ قال: جئتك للأمر الذي تجمع الناس لأجله.

فظن خالد أن عبد الله جاء لينصره، فلما دنا منه عبد الله استل سيفه واحتز رأسه، وجاء برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما دنا من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أفلح الوجه، أفلح الوجه.

فرمى برأس خالد بين قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعبد الله: خذ عصاتي، خذ عصاتي اِتكأ عليها، أعرفك بها يوم القيامة، وقليل هم المتوكئون.

فلما مات عبد الله، أوصى بالعصاة بأن تدفن معه حتى قال: حتى إذا سألني ربي فيمَ قضيت حياتك، أمسكت بعصى رسوله، وقال: نصرت نبيك يا الله.

الشاهد أن أولئك القوم الذين اصطفاهم الله عز وجل لحمل رسالته والدفاع عنها، كانوا يأبون أن يتفوهوا بالكلمة قبل أن توقن بها قلوبهم، وأن الفئة التي كانت تتحدث بالحديث بلسانها ولم يؤمن بذاك الحديث قلبها كانت تُرمى بالنفاق، حينها كان ذاك التاريخ الساطع ردًا جازمًا حازمًا على من يقول: لا داعٍ بأن تحدِّثوا المسلمين على أن حفظ الدين هو أوجب الواجبات، لِمَ؟

لأنا نرى كثيرًا من المسلمين جعلوا حفظ أنفسهم وأموالهم قبل حفظ دينهم، وما ذلك عنكم ببعيد؛ ترون ما حلَّ بديارنا من حروب، ترون ما حلَّ بديارنا من قصفٍ لأعدائنا لنا، ترون ما حرص عليه أعداؤنا في قنواتهم وفي إعلامهم في أن يبثوا الرعب في صدور المسلمين، فما كان من كثير من المسلمين إلا أن خرجوا من ديارهم التي باتت تُحكم بشرع الله، وخرجوا إلى ديار لا يستطيعون أن يطبقوا فيها شرع الله عز وجل على أتم وجه، لا يستطيع أحدهم أن يحفظ ابنه، أن يحفظ ولده في أن يرى الكاسيات العاريات تمر في الطرقات، لا يستطيع أحدهم أن يلبس زوجته الخمار الشرعي الذي فرضه الله عز وجل عليها، وكل ذلك لا يهمه!! كل ذلك لا يهمه!! المهم أن يبقى على قيد الحياة، بل أكثر من ذلك: لما قلنا لهم تعالوا إلى بلادكم وعمِّروها بأيديكم، فإنها باتت تُحكم بشرع الله الذي كنتم تدَّعون أنكم حريصون على تطبيقه، قالوا: لن نأتي حتى تعود الكهرباء وحتى يعود الماء!

قلنا: ودينكم!؟

فلم يجيبوا!

حينها صار لزامًا أن يجدد الدعاة والخطباء والعلماء ومن تولى أمر المسلمين أن يجدد هذا المفهوم في أذهان المسلمين: لم نُخلق ولم نوجد على هذه الأرض إلا لنعيش مسلمين مؤمنين حاملين للرسالة التي خُلِقنا لأجلها، وأن الله عز وجل قد كتب علينا الابتلاء، ﴿**أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَأتِكُم مَثَلُ الَّذينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَسَّتهُمُ البَأساءُ وَالضَّرّاءُ وَزُلزِلوا حَتّى يَقولَ الرَّسولُ وَالَّذينَ آمَنوا مَعَهُ مَتى نَصرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصرَ اللَّهِ قَريبٌ**﴾، [البقرة: ٢١٤].

قبل يومين من الآن: كانت على مرمى حجر من هذه المدينة ثكنات تطلق المدافع على بيوت الناس الآمنين، كانت تؤذي بيوت الناس، فما فتئت تطلق حمم المدافع والهاونات على البيوت، فانطلق إليهم ثلاثة من فرسان المسلمين، من أين جاؤوا؟

أولهم أبو طلحة الفرنسي، جاء من فرنسا، علم أن له إخوانًا في هذه الأرض يسامون سوء العذاب، فأبى أن يعيش على هذه الأرض وسط هذا الذل، فامتطى صهوة جواده وانطلق إليهم وغداهم أثرًا بعد عين، ثم تلاه أبو عمر القطري، جاء من قطر يعيش هناك عيشة الأمراء، عيشة الملوك، فلما علم أن له إخوانًا يسامون سوء العذاب، وأن أعداءهم على مرمى حجر منهم، لم يحلو له العيش، ولم تحلو له الحياة، فانطلق إليهم كالصخر، وفجَّر نفسه وسط ثكنتهم فغدوا أثرًا بعد عين.

حينها تذكرت الله عز وجل: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم ثُمَّ لا يَكونوا أَمثالَكُم**﴾، [محمد: ٣٨].

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى، وبعد؛

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملخصًا في موضوع هذه الخطبة: **(مَن كانتِ الآخرةُ هَمَّه: جَمَعَ اللهُ له شَمْلَه، وجعل غِنَاه في قلبِه، وأَتَتْه الدنيا وهي راغمةٌ، ومَن كانت الدنيا هَمَّه: فَرَّقَ اللهُ عليه شَمْلَه، وجعل فقرَه بين عَيْنَيْه، ولم يَأْتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له).**

هذا حديث جامعٌ شاملٌ ملخصٌ لهذه المفهوم، من عاش والآخرة همه، من عاش وهو موقن أنه سيأتي عليه يوم يقف بين يدي الله عز وجل، وسيسأل عن الصغيرة والكبيرة، فقد تكفل الله عز وجل لذلك الرجل بأن يجمع عليه شمله، فيعيش حياة مطمئنة وإن تخللتها حروب، وإن تخللتها محن وابتلاءات، إلا أن الله عز وجل تكفل بأولئك الرجال أن يعمّر قلوبهم بالسكينة والإيمان، وأن يجعل غناهم في قلوبهم، فلو لم يجد لقمة يأكلها فإنه سيشعر حينها أنه أغنى رجل في العالم، لِمَ؟ لأنه يعيش لأجل الآخرة لا لأجل الدنيا.

ويذكر نبينا صلى الله عليه وسلم الصنف الآخر من الناس: **(ومَن كانت الدنيا هَمَّه: فَرَّقَ اللهُ عليه شَمْلَه)**، فلو جُمعت له أموال الأرض سيشعر أنه أفقر الناس على وجه الأرض، وما أولئك عنا ببعيد؛ يعيشون لأجل الدنيا ويموتون لأجل الدنيا إلا ما شاء الله.

من كانت الدنيا همه؛ فرق الله عليه أمره، عاش عيشة مضطربة لا يدري من أين يأخذ، ولمن يعطي، لا يدري كيف ينفق وكيف يتصرف، وكيف يعيش، حياة مضطربة تمامًا.

(فَرَّقَ اللهُ عليه شَمْلَه، وجعل فقرَه بين عَيْنَيْهِ)؛ فلو جُمعت له كنوز الأرض وسألته عن حاله، قال: لا أملك شيئًا، والمحصلة: لن يأته من الدنيا إلا ما قدر له.

فاجعلوا يا معشر الإخوة هذا المفهوم نصب عينيكم، قل لنفسك وقل لأهلك وقل لأولادك وعيالك: أنا ما خُلقنا إلا ليعبد الله، وأن حفظ ديننا هو أوجب واجباتنا، وأن حفظ ديننا أغلى أمنياتنا، وأن حفظ ديننا هو أسمى أمانينا.

اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلًا، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلًا، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلًا، اللهم وحد صفوفنا، اللهم لمَّ شملنا، اللهم اجبر كسرنا.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا يسرته، ولا مجاهدًا في سبيلك إلا نصرته، ولا مجاهدًا في سبيلك إلا نصرته.

ربنا أفرغ علينا صبرًا، ربنا أفرغ على المسلمين صبرًا، ربنا أفرغ على المجاهدين صبرًا، وثبت أقدامهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا ناصر المؤمنين.

اللهم عليك بالرافضة المشركين، والنصارى المعتدين، واليهود الغاصبين، ومن والاهم من العالمين، اللهم نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات أن تجعل لهم سلطة على الإسلام أو المسلمين، اللهم لا ترفع لهم راية ولا تحقق لهم غاية واجعلهم لمن خلفهم آية.

اللهم يا حي يا قيوم، يا أرحم الراحمين، إن لنا إخوانًا يرزحون في سجون الكافرين، وما نحن بأرحم بهم منك وأنت أرحم الراحمين، اللهم ردهم إلى أهليهم سالمين غانمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وصلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين .

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن لنهجه إلى يوم الدين اقتفى.

وأقم الصلاة.

رمضان

١٤٣٩ هـ